قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فإذا آواه المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك
منقطعا وفي روايته من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم بأن هذه الرواية عن ابن أبي الحسين عن عمرو بن شعيب
عن أبيه عن جده وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة
نفسها يقال حرس يحرس حرسا إذا سرق فقطع أنه ليس فيما يسرق من الجبل قطع وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل أن
تصل إلى مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذي تأوي إليه الماشية بالليل وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع أخرجه الترمذي والنسائي المسألة الرابعة إذا سرق مالا فيه
شبهة كالولد يسرق من مال الوالد والوالد يسرق من مال الابن والعبد يسرق من مال سيده والشريك يسرق من مال [illegible]
فلا قطع على أحد من هؤلاء المسألة الخامسة إذا سرق وأمره فقطعت يده اليمنى من الكوع وإذا سرق ثانية
قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما إذا سرق مرة ثالثة فذهب أكثرهم إلى أنه تقطع يده
اليسرى وإذا سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم إذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى
هذا عن أبي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في السارق إن سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم إلى
أنه إن سرق بعدما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس وروي عن علي أنه قال إني أستحيي أن لا أدع له
يدا يستنجي بها ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والأوزاعي وبه قال أحمد وأصحاب الرأي قوله تعالى
فمن تاب من بعد ظلمه يعني بعد ما ظلم نفسه بالسرقة وأصلح يعني وأصلح العمل في المستقبل فإن الله
يتوب عليه يعني فإن الله يغفر له ويتجاوز عنه إن الله غفور يعني لمن تاب رحيم به فصل وهذه
التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند أكثر العلماء لأن الحد جزاء على
الجناية ولا بد من التوبة قبل القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل عن أبي أمية
المخزومي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما إخالك سرقت قال بلى فأعاد عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يعترف فأمر به فقطع
ثم جيء به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب إليه فقال الرجل أستغفر الله وأتوب إليه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه أخرجه أبو داود والنسائي بمعناه وإذا قطع السارق يجب عليه غرم
ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده
يجب عليه أن يرده إلى صاحبه وتقطع يده لأن القطع حق الله والغرم حق الآدمي فلا يمنع أحدهما الآخر
والله أعلم قوله عز وجل ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد به جميع الناس وقيل معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس أن الله ملك
السماوات والأرض يعني أن الله مدبر أمر ما في السماوات والأرض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه
لا يمتنع عليه شيء مما أراد فيهما لأن ذلك كله في ملكه وإليه أمره يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء
قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء على الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته
وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب
وإنما قدم التعذيب على المغفرة لأنه في مقابلة السرقة على التوبة وهذه الآية قاطعة القدرية والمعتزلة
في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لأن الآية دالة على أن التعذيب والرحمة مفوضة إلى المشيئة
والوجوب ينافي ذلك وجواب آخر وهو أنه تعالى أخبر أن له ملك السماوات والأرض والمالك له أن يتصرف في
ملكه كيف يشاء وأراد لا اعتراض عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله تعالى والله على كل شيء قدير
يعني فله أن يعذب من أراد تعذيبه من خلقه ويغفر ذنوب من أراد إسعاده وإنقاذه من الهلكة من
خلقه لأن الخلق كلهم عبيده وفي ملكه قوله تعالى يا أيها الرسول هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو خطاب تشريف يعم تكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا أيها النبي في مواضع كثيرة من كتابه بعد

ويا أيها الرسول

٢٧٩

ويا أيها الرسول في موضعين هذا أحدهما والآخر قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وقوله تعالى لا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر يعني لا يهمنك مسارعة الكفار ولا أتباعهم فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم من
الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم يعني المنافقين لأنهم أظهروا الإيمان بالقول وكتموا الكفر
وهذه صفة المنافقين ومن الذين هادوا يعني اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين أحدهما أن الكلام
تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله سماعون للكذب ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعون للكذب والوجه الثاني أن الكلام
تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال ومن الذين هادوا سماعون للكذب والمعنى أنهم قابلون للكذب
أي يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلون منهم والسمع يستعمل ويراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان
أي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لأجل أن يكذبوا عليك وذلك أنهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه وقوله تعالى سماعون
يعني من قريظة يعني أنهم جواسيس وعيون لقوم آخرين وهم أهل خيبر لم يأتوك يعني أهل خيبر لم يأتوك ولم
يحضروا عندك ذكر القصة في ذلك قال علماء التفسير إن رجلا وامرأة من أشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين تكرار من الشارد
وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا إن هذا الرجل بيثرب
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فأرسلوا إلى إخوانكم بني قريظة فإنهم
جيرانه وصلح معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين
إذا أحصنا ما حدهما فإن أمركم بالجلد فاقبلوا منه وإن أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا معهم
الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير فقالوا لهم إنكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده
وقد حدث فينا حدث وذلك أن فلانا وفلانة قد زنيا وقد أحصنا فنحب أن تسألوه عن قضائه في ذلك فقالت
لهم بنو قريظة والنضير إذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن
أسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل
جبريل عليه السلام بآية الرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك
وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن
فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأي رجل هو فيكم فقالوا هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل
الله على موسى عليه السلام في التوراة قال فأرسلوا إليه ففعلوا فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم
أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم يهود قال كذلك يقولون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صوريا فأنا
أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى وأخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق
آل فرعون والذي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل
تجدون في كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت أن ينزل علينا العذاب
أو كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال إذا شهد أربعة رهط عدول أنه أدخله
فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليهما الرجم فقال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا
أنزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فما كان أول ما ترخصتم به أمر الله تعالى
فقال ابن صوريا كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا في أشرافنا
حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر في أسرة من قومه فأراد الملك رجمه فقام قومه دونه
وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا ابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على
الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلي بالقار ثم تسود وجوههما
ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقال اليهود

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)